وردة على مفرق فتاة أمية*

عـروس الشعر زحزحتِ النِّقابا ... فشبَّ الشيبُ تحسبهُ شبابا
وجُنَّتْ من محاسنها القوافي ... كأن جريرَها للشام آبا
حماها الله يهرمُ ألفُ دهرٍ ... وتبقى الشام للأمجادِ غابا
ذَرى الرَّحمنُ ملءَ الكونِ آياً ... وقد جعلَ الشآمَ لها كتابا
فما من آيةٍ في الشام إلاّ ... وتلهمكَ الهدايةَ والصَّوابا
إليها حجُّ أنظارِ البرايا ... وينسى من رأى الشامَ الإيابا
فليس كحسنِ غوطتها ثوابٌ ... لمن قد جاءها يرجو الثوابا
غصونُ الغوطتين إذا تثنت ... حسبتَ الغصنَ ناعمةً كَعابا
وما غُصنٌ إذا الهيجاءُ نادت ... بها إلاّ وتلقاه حِرابا
بها رايـاتُ نصرِ الله شالت ... على اسم الله تحسبُها السَحابا
تكفّلها الإله كما براها ... وما كشف الزمان لها حجابا
تزيدُ على نوائبها ثباتاً ... ولا تُبقي لوحشِ الظُّلْم نابا

❖❖❖

فتاةَ أميةٍ عفوَ ادكاري ... وعفوَ الشعر ناداني، وغابا
طلعتِ على الزمان كما تمنى ... وحسنكِ لم يَشبْ، والدَّهرُ شابا
فتوحاتٌ تمرُّ أمام عيني ... فتوسعني لروعتها انجذابا
عشقتُ الشام سلها لا تسلني ... لماذا؟ فهي تمتلك الجوابا

* ألقيت في مهرجان الثقافة والتراث في قصر الثقافة 'مكتب عنبر' في ١٩٩٨/٧/١٨.

عشقتُ الشام تكبرها الأعادي ... فوجه الشام ما عرفَ الخضابا
عشقتُ الشام إبداعاً وعلماً ... وفتحاً لم يدع صنماً مُهابا
عشقتُ الشام عدلاً واعتدالاً ... وأمراً في بني الدُّنيا مجابا
فأشمخُ والزمانُ معي شَموخٌ ... بما أزجتهُ للدُّنيا احتسابا

❖❖❖

فتاةَ أمية يا أمُّ عفواً ... إذا ما سُقتُ من ألمي العتابا
أرى الأجيالَ قد ضلَّت هداها ... وزادت عن عقيدتها اغترابا
فما حفظت لمجدِ الأمسِ عهداً ... فأمست كلُّ بارقة خلابا
وها أُفردتِ في زمن التردي ... وعنك أطال من ضلُّوا الغيابا
وكنتِ وكان بأسُكِ كلَّ آن ... شديداً يأخذُ الدُّنيا غلابا
فكيفَ غفلتِ يا أمَّ الأماني ... وكيف رضيت أن يردوا السرابا!
وكيفَ القومُ عافوا الودَّ وِرداً ... ورادوا في فم الأفعى رضابا!
وكيفَ بقشرة رُميت إليهم ... رضوا طوعاً، وعدّوها لُبابا!
وصافوا من بغى وطغى عليهم ... وصيَّرَ كلَّ ما ملكوا تبابا
على الأهلين كم كانوا شداداً ... وعند عدوّهم كانوا ذُبابا!
فأدخلهم حظائره نعاجاً ... وما كانوا بنا إلاّ ذئابا
ولولاهم لما انشعبت قُوانا ... ولا أمسى توحُدنا شعابا
ولولاهُم لما استعصى منالٌ ... على قومي ، ولم نشكُ اضطرابا
تبدلَ كلُّ ما قد كان منّا ... وصار خيالُ غاصبِنا مُهابا

يسوقُ لنا الفناءَ بكلِّ آن ... ونحذرُ أن نسوقَ له العتابا
وكم كنّا نجيدُ له سِباباً ... فصرنا لا نقِرُّ له سِبابا
ونحنُ الأكثرون غنىً وعداً ... ولكنّا الأذلُّ له جنابا
فعفواً يا فتاةَ المجدِ عفواً ... إذا اقتضبَ الكلامُ هنا اقتضابا

❖❖❖

شآمُ شآمُ عفواً عن سؤالي ... متى ألقى لما كُنّا إيابا!
مسيلمةٌ يفرِّخُ كلَّ يوم ... فراخاً تملأ الدنيا ارتيابا
فأين لها أبو بكرٍ بسيفٍ ... يحزُّ لكفرِ ردَّتِها الرقابا!
وأينُ لها الإمامُ وذو فقارٍ ... فيوسعُ من بَغَوْا وطَغَوْا ضِرابا؟
كفانا يا بني قومي ضياعاً ... وشرذمةً .. كفى يا قوم عابا
هوى الكُرّسِيِّ أنسانا هدانا ... فلم نحسبْ لأجيالٍ حسابا
تُرى ماذا سيحكي الجيلُ عنّا ... وقد ورث المذلة والعذابا؟
نزلنا عن خيولِ الفتحِ عمْداً ... وأسرجنا إلى الجلّى كلابا
ولم نتركْ له إلا طُلولاً ... من الإذلال تنتحبُ انتحابا
ألا يكفيه ذُلاً أن سكتنا ... عن الأقصى وما اغتصب اغتصابا!
وكيفَ القوم صاروا ألفَ قومٍ ... وعن ذلٍّ غدا العجب العُجابا
فقولي لي أيا أمّاه قولي ... متى بجهادنا ألقى اعتصابا!
أما آن الأوانُ لكي ترانا ... على الأعداء نمتشقُ الحرابا!
فلن يلدَ الظلومُ سوى ظلومٍ ... ولن تلقى لطاغيةٍ متابا

❖❖❖

فتـــاةَ أميـــةٍ مـــاذا تراني ـــي ... أقولُ وخافقي اصطخبَ اصطخابا
لمجـدِ الحـقِّ أجـرى الله شـعري ... فمـا هـو غـيرُ هـذا القلـب ذابـا
ومـا أنـا غـيرُ هـذا الشـعر يحيـا ... ليكشـفَ عـن مذلينـا النقابـا
همـومُ القـوم صـاغتني بيانـاً ... بـه أرجـو إلـى الوثقـى انتسـابا
فليـس الشـعر إلا صـوتَ حـقٍّ ... يعـود بـه مـن اكتهلـوا شـبابا
كفـرتُ بـه ضياعـاً وانهزامـاً ... وهلوسـةً ...كفـرتُ بـه كذابـا
إذا مـا كـلُّ حـرفٍ كـان سـيفاً ... علـى الطـاغي فقـد كـان الغرابـا

❖❖❖

دمشـقَ المجـدِ هـذا عـرسُ شـعرٍ ... كأشـهى المـزنِ ينسـكبُ انسـكابا
تسـرّبَ مـن دمـي في نفسِ قومـي ... رحيقـاً خلتِـهُ الشـهدَ المذابـا
إذا مـا رقَّ فهـو الـوَردُ حسـناً ... وإن يـزْأرْ تـرَ الأرمـاح غابـا
فللنبغـاء أهـلُ الشـامِ أهـلٌ ... لهـم فيهـا أحـبُّ العيـشِ طابـا
هـمُ الـودُّ المُصفـى إن يُصـافوا ... وإن غضبـوا فـأكبِرْهم غضابـا

❖❖❖

شـآمَ المجـدِ عفـوكِ قـد صحونـا ... لنـأخذ حـقَّ أمتنـا غلابـا
لأملـحُ ألـفَ بارقـةٍ تنـادي ... بـأن النصـرَ يـزداد اقترابـا
دهتنـا الداهيـاتُ وكـم رأتنـا ... كمـا أملـت عقيدتُنـا صلابـا!
نزيـدُ علـى تحديهـا جهـاداً ... بـه الطـاغوت يُسـلمنا الرقابـا
إذا أبلـت لنـا الجُلّـى حرابـاً ... جعلنـا مـن أصابعنـا حرابـا

فهبْ أمسى «نتنياهو» «هولاكو» وصيَّر مثلَه الدُّنيا خرابا
أما ولّى هولاكو عن حمانا وأسلمَ جيش هولاكو وتابا!
وهبْ عادَ الصليبيون حقداً وزادونا فناءً واستلابا
ألم ينهد صلاح الدين يوماً فيجعلهم وما فعلوا سرابا!
أما قد جدد الإسلام شيخٌ له سمعُ الزمان قد استجابا*!
أما عادت بنا الوثقى فعدنا وأعلينا المآذن والقبابا!
ألم نُرجِعْ يبابَ الأرض غاباً يفيض الدهر خِصباً واحتلابا!
فحقق كلُّ ذي كبدٍ مناهُ بعدلٍ لم يجد فيه محابى
إذا لم يبقَ منا غيرُ حُرٍّ أعدنا باطل الدنيا صوابا

❖❖❖

شآم المجد ظلكِ مستطابٌ به أُلهِمتُ عن قومي الخطابا
فأسلسَ واستطالَ وطاب شعري ولولا أنتِ لمْ يكُ مستطابا
أرى من سالموا أعداءَ قومي أرادونا لدى الطاغي كلابا
همُ الأعداءُ ما عرفوا سلاماً وقُبِّحَ من رأى فيهم صحابا
لنا الراياتُ في سلمٍ وحربٍ وعهداً لن نلين لهم جنابا
على اسم الله نعلنه جهاداً ونمضي لن نذلَّ ولن نهابا
سنفتحُ للشهادةِ ألفَ بابٍ إذا ما أغلقَ الجبناءُ بابا

❖ إشارة إلى المجدد ابن تيمية رحمه الله.